اليحيا.. من أوراق الأثل المحترقة إلى تقنيات الفن الحديث

الرياض: علي مرزوق

افتتح مساء أول من أمس رئيس الشؤون الخاصة لخادم الحرمين الشريفين إبراهيم بن عبدالرحمن الطاسان معرض «بناء وانتماء» للفنان التشكيلي السعودي عبدالجبار اليحيا، وذلك في صالة غاليري حوار بالرياض، وذلك بحضور وزير الشؤون الاجتماعية الدكتور يوسف العثيمين ووكيل وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية الدكتور عبدالعزيز السبيل.

والمتابع لتجربة اليحيا التشكيلية المولود في مدينة الزبير بالعراق عام ١٩٢٩، يجد أنه قد بدأ الرسم بأعواد الأثل المحترقة، ثم تعلم أساسيات الرسم والتلوين، معتمداً على زياراته وقراءاته ومشاهداته لكثير من الأعمال التشكيلية المحلية والعالمية، الأمر الذي جعله يتعرف على المدارس والاتجاهات التشكيلية المختلفة، وتقنيات الفن الحديث، على الرغم من أنه لم يدرس الفن التشكيلي أكاديمياً.

انتقل اليحيا من العراق إلى البحرين، ثم عاد إلى الرياض في عام ١٩٤٧، ليمارس الفن التشكيلي إلى جانب العمل الصحفي، فأخذ على عاتقه تثقيف مجتمعه فنياً من خلال كتابته لكثير من المقالات المتخصصة، فكان من أوائل من كتبوا في هذا الجانب. وشهد عام ١٣٩٤ إقامة أول معرض تشكيلي شخصي سعودي لأعماله، ثم ابتعث إلى بريطانيا ليعود بدبلوم إدارة المطابع من كلية لندن للطباعة عام ١٣٩٧.

تأثر اليحيا في بداياته بأعمال فناني عصر النهضة أمثال ليوناردو دافنشي، وسيزان، وغيرهما، غير أن ذلك لم يجرفه بعيداً عن أصالته، فكان مرتبطاً ببيئته، وصورت نصوصه البصرية هذا المحيط وفق بنائية محكمة وتلقائية مبسطة، ونجد ذلك ماثلاً في أعماله: (المصمك، ومبان تراثية، وشارع في العليا)، أما الإنسان فقد صور فيه المعاناة والهم والاحتواء بأساليب تجمع بين التعبيرية والرمزية في كثير من الأحيان، ويجسد ذلك أعماله (بناء، وانتماء، والعودة).

تجربة اليحيا واكبته العناية النقدية والتحليلية من بعض النقاد العرب والمحليين، فعن المرأة في أعماله يقول الدكتور صلاح عسكر إنه قد أحاطها بجو خيالي وبألوان فسفورية براقة وكأنه يوليها الاهتمام كعنصر أساسي يتأثر بالحياة أكثر من أن يؤثر فيها.

بينما يحدثنا الكاتب محمد المنيف عن الرمز في أعماله فيقول: وصل اليحيا إلى مرحلة الرمز الناضج فكراً وتقنية، مقترباً أكثر إلى أعماق الإنسان. أما عن التراث في أعماله فيقول عنه عادل أغا إن اليحيا ينظر إلى التراث كمستقبل، ويحاول أن يؤسس تقاليد جديدة.

شارك اليحيا في كثير من الأنشطة والفعاليات، فإلى جانب كتاباته المتخصصة في الفن التشكيلي في الصحف المحلية والعربية، ساهم في إقامة ندوات فنية تشكيلية وأدبية، وقدم مجموعة من الأبحاث التشكيلية، كما شارك في أكثر من خمسة وخمسين معرضاً جماعياً محليا ودولياً داخل المملكة وخارجها، كان أهمها مشاركته في متحف فوريست بارك في ولاية ميسوري الأمريكية، وهو من المؤسسين لجماعة «ألوان للفنون التشكيلية» ورئيس مجلس إدارتها، كما أنه أحد أعضاء جماعة «أصدقاء الفن التشكيلي الخليجي» المبرزين، ومن أهم مؤلفاته كتاب «خمسون عاماً من الرسم»، وترجم آخر من اللغة الإنجليزية بعنوان «تقنيات اللون للفنان التشكيلي».

اليحيا يشرح إحدى لوحاته

(الوطن)